فصل
في كرامات الأولياء

كرامات الأولياء مسألة هامة ينبغي أن يعرف الحق فيها من الباطل؛ هل هي حقيقة ثابتة، أو هي من باب التخيلات؟

فبين المؤلف رحمه الله قول أهل السنة فيها بقوله:

* **«ومن أصول أهل السنة: التصديق بكرامات الأولياء»:**

* فمن هم الأولياء؟

والجواب: أنّ الله بيّنهم بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «من كان مؤمناً تقيّاً؛ كان لله وليّاً».

ليست الولاية بالدعوى والتمني، الولاية إنما هي بالإيمان والتقوى؛ فلو رأينا رجلاً يقول: إنه ولي! ولٰكنه غير متق لله تعالى؛ فقوله مردود عليه.

* أما الكرامات؛ فهي جمع كرامة، والكرامة أمر خارق للعادة، يجريه الله تعالى على يد ولي؛ تأييداً له، أو إعانة، أو تثبيتاً، أو نصراً للدين.

ـ فالرجل الذي أحيا الله تعالى له فرسه، وهو صلة بن أشيم، بعد أن ماتت، حتى وصل إلى أهله، فلما وصل إلى أهله؛ قال لابنه: ألق السرج عن الفرس؛ فإنها عرية! فلما ألقى السرج عنها؛ سقطت ميتة[1]. فهٰذه كرامة لهٰذا الرجل إعانة له.

ـ أما التي لنصرة الإسلام؛ فمثل الذي جرى للعلاء بن الحضرمي رضي الله عنه في عبور ماء البحر، وكما جرى لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في عبور نهر دجلة، وقصتهما مشهورة في التاريخ.

فالكرامة أمر خارق للعادة.

أما ما كان على وفق العادة؛ فليس بكرامة.

* وهٰذا الأمر إنما يجريه الله على يد ولي؛ احترازاً من أمور السحر والشعوذة؛ فإنها أمور خارقة للعادة، لٰكنها تجري على يد غير أولياء الله، بل على يد أعداء الله؛ فلا تكون هٰذه كرامة.

* وقد كثرت هٰذه الكرامات التي تدعى أنها كرامات في هٰؤلاء المشعوذين الذين يصدون عن سبيل الله؛ فالواجب الحذر

---

(١) «صفة الصفوة» (٣/٢١٧)، «الزهد» لابن المبارك (٢٩٥)؛ إلاّ أنهما ذكرا ذهاب بغلته وليس موتها.

منهم ومن تلاعبهم بعقول الناس وأفكارهم.

* فالكرامة ثابتة بالقرآن والسنة والواقع، سابقاً ولاحقاً.

ـ فمن الكرامات الثابتة بالقرآن والسنة لمن سبق قصة أصحاب الكهف، الذين عاشوا في قوم مشركين، وهم قد آمنوا بالله، وخافوا أن يغلبوا على أمرهم، فخرجوا من القرية مهاجرين إلى الله عز وجل، فيسر الله لهم غاراً في جبل، وجه هٰذا الغار إلى الشمال، فلا تدخل الشمس عليهم فتفسد أبدانهم ولا يحرمون منها، إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين، وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال، وهم في فجوة منه، وبقوا في هٰذا الكهف ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعاً، وهم نائمون، يقلبهم الله ذات اليمين وذات الشمال، في الصيف وفي الشتاء، لم يزعجهم الحر، ولم يؤلمهم البرد، ما جاعوا وما عطشوا وما ملوا من النوم. فهٰذه كرامة بلا شك، بقوا هٰكذا حتى بعثهم الله وقد زال الشرك عن هٰذه القرية، فسلموا منه.

ـ ومن ذٰلك قصة مريم رضي الله عنها، أكرمها الله حيث أجاءها المخاض إلى جذع النخلة، وأمرها الله أن تهز بجذعها لتتساقط عليها رطباً جنيّاً.

ـ ومن ذٰلك قصة الرجل الذي أماته الله مئة عام ثم بعثه؛ كرامة له؛ ليتبين له قدرة الله تعالى، ويزداد ثباتاً في إيمانه.

ـ أما في السنة؛ فالكرامات كثيرة، وراجع (كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل) في «صحيح البخاري»، وكتاب

«الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان» لشيخ الإسلام ابن تيمية.

ـ وأما شهادة الواقع بثبوت الكرامات؛ فظاهر، يعلم به المرء في عصره: إما بالمشاهدة، وإما بالأخبار الصادقة.

فمذهب أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء.

* وهناك مذهب مخالف لمذهب أهل السنة، وهو مذهب المعتزلة ومن تبعهم؛ حيث إنهم ينكرون الكرامات، ويقولون: إنك لو أثبت الكرامات؛ لاشتبه الساحر بالولي والولي بالنبي؛ لأن كل واحد منهم يأتي بخارق.

فيقال: لا يمكن الالتباس؛ لأن الكرامة على يد ولي، والولي لا يمكن أن يدعي النبوة، ولو ادعاها؛ لم يكن وليّاً. آية النبي تكون على يد نبي، والشعوذة والسحر على يد عدو بعيد من ولاية الله، وتكون بفعله باستعانته بالشياطين، فينالها بكسبه؛ بخلاف الكرامة؛ فهي من الله تعالى، لا يطلبها الولي بكسبه.

* قال العلماء: كل كرامة لولي؛ فهي آية للنبي الذي اتبعه؛ لأن الكرامة شهادة من الله عز وجل أن طريق هٰذا الولي طريق صحيح.

وعلى هٰذا؛ ما جرى من الكرامات للأولياء من هٰذه الأمة؛ فإنها آيات لرسول الله ﷺ.

* ولهٰذا قال بعض العلماء: ما من آية لنبي من الأنبياء

السابقين؛ إلا ولرسول الله ﷺ مثلها.

ـ فأورد عليهم أن الرسول ﷺ لم يلق في النار فيخرج حيّاً؛ كما حصل ذٰلك لإبراهيم.

فأجيب بأنه جرى ذٰلك لأتباع الرسول عليه الصلاة والسلام؛ كما ذكره المؤرخون عن أبي مسلم الخولاني[1]، وإذا أكرم أتباع الرسول عليه الصلاة والسلام بجنس هٰذا الأمر الخارق للعادة؛ دلَّ ذٰلك على أن دين النبي ﷺ حق؛ لأنه مؤيد بجنس هٰذه الآية التي حصلت لإبراهيم.

ـ وأورد عليهم أن البحر لم يفلق للنبي ﷺ، وقد فلق لموسى!

فأجيب بأنه حصل لهٰذه الأمة فيما يتعلق في البحر شيء أعظم مما حصل لموسى، وهو المشي على الماء؛ كما في قصة العلاء بن الحضرمي؛[2] حيث مشوا على ظهر الماء، وهٰذا أعظم مما حصل لموسى؛ لأن موسى مشى على أرض يابسة.

ـ وأورد عليهم أن من آيات عيسى إحياء الموتى، ولم يقع

---

(١) «صفة الصفوة» (٢٠٨/٤) لابن الجوزي، وقال: إن الأسود العنسي المتنبي طرح أبا مسلم الخولاني في النار، فلم تضره، فكان يشبه بالخليل عليه السلام.

(٢) لما رواه أبو نعيم في «الحلية» (٧/١)؛ عن سهم بن منجاب قال: غزونا مع العلاء ابن الحضرمي، فسرنا حتى أتينا دارين، والبحر بيننا وبينهم، فقال: يا عليم، يا حليم، يا عليّ، يا عظيم، إنا عبيدك، وفي سبيلك نقاتل عدوك، اللهم فاجعل لنا إليهم سبيلاً فنقتحم البحر، فخضنا ما يبلغ لبودنا الماء.

ذٰلك لرسول الله ﷺ.

فأجيب بأنه وقع لأتباع الرسول عليه الصلاة والسلام؛ كما في قصة الرجل الذي مات حماره في أثناء الطريق، فدعا الله تعالى أن يحييه، فأحياه الله تعالى.

ـ وأورد عليهم إبراء الأكمه والأبرص.

فأجيب بأنه حصل من النبي ﷺ أن قتادة بن النعمان لما جرح في أحد؛ ندرت عينه حتى صارت على خده، فجاء النبي ﷺ، فأخذها بيده، ووضعها في مكانها، فصارت أحسن عينيه[1].

فهٰذه من أعظم الآيات.

فالآيات التي كانت للأنبياء السابقين كان من جنسها للنبي ﷺ أو لأمته، ومن أراد المزيد من ذٰلك؛ فليرجع إلى كتاب «البداية والنهاية في التاريخ» لابن كثير.

تنبيه:

الكرامات؛ قلنا: إنها تكون تأييداً أو تثبيتاً أو إعانة للشخص أو نصراً للحق، ولهٰذا كانت الكرامات في التابعين أكثر منها في الصحابة؛ لأن الصحابة عندهم من التثبيت والتأييد والنصر ما

---

(١) وقد أخرجها الحافظ بن حجر في «الإصابة» (٣/٢١٧)؛ عن البغوي وأبو يعلى والدارقطني والبيهقي في «دلائل النبوة»، وعزاها الهيثمي في «المجمع» (٨/٢٩٨) للطبراني وأبي يعلى، وقال: في إسناد الطبراني من لم أعرفهم، وفي إسناد أبي يعلى يحيى بن عبد الحميد الحماني؛ وهو ضعيف.

يستغنون به عن الكرامات؛ فإن الرسول ﷺ كان بين أظهرهم، وأما التابعون؛ فإنهم دون ذلك، ولذلك كثرت الكرامات في زمنهم تأييداً لهم وتثبيتاً ونصراً للحق الذي هم عليه.

* * *

* قوله: «**وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات**»:

«**خوارق**»: جمع خارق.

* و«**العادات**»: جمع عادة.

والمراد بـ«**خوارق العادات**»: ما يأتي على خلاف العادة الكونية.

* وهٰذه الكرامات لها أربع دلالات:

أولاً: بيان كمال قدرة الله عز وجل؛ حيث حصل هٰذا الخارق للعادة بأمر الله.

ثانياً: تكذيب القائلين بأن الطبيعة هي التي تفعل؛ لأنه لو كانت الطبيعة هي التي تفعل؛ لكانت الطبيعة على نسق واحد لا يتغير؛ فإذا تغيرت العادات والطبيعة؛ دل على أن للكون مدبراً وخالقاً.

ثالثاً: أنها آية للنبي المتبوع كما أسلفنا قريباً.

رابعاً: أن فيها تثبيتاً وكرامة لهٰذا الولي.

* * *

* قوله: «**في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات**»؛ يعني: أن الكرامة تنقسم إلى قسمين: قسم يتعلق بالعلوم والمكاشفات، وقسم آخر يتعلق بالقدرة والتأثيرات.

ـ أما العلوم؛ فأن يحصل للإنسان من العلوم ما لا يحصل لغيره.

ـ وأما المكاشفات؛ فأن يظهر له من الأشياء التي يكشف له عنها ما لا يحصل لغيره.

ـ مثال الأول ـ العلوم ـ: ما ذكر عن أبي بكر: أن الله أطلعه على ما في بطن زوجته ـ الحمل ـ ؛أعلمه الله أنه أنثى(١).

ـ ومثال الثاني ـ المكاشفات ـ: ما حصل لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين كان يخطب الناس يوم الجمعة على المنبر، فسمعوه يقول: يا سارية! الجبل! فتعجبوا من هٰذا الكلام، ثم سألوه عن ذٰلك؟ فقال: إنه كشف له عن سارية بن زنيم ـ وهو أحد قواده في العراق ـ، وأنه محصور من عدوه، فوجهه إلى الجبل، وقال له: يا سارية! الجبل! فسمع سارية صوت عمر، وانحاز إلى الجبل، وتحصن به(٢)!

---

(١) رواه اللالكائي في «كرامات الأولياء» (٦٣)، وأوردها ابن حجر في «الإصابة» (٤/٢٦١).

(٢) رواه البيهقي في «دلائل النبوة»، وذكره ابن كثير في «البداية» (٧/١٣١) وقال: إسناده حسن جيد. وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١١١٠).

هٰذه من أمور المكاشفات؛ لأنه أمر واقع، لٰكنه بعيد.

ـ أما القدرة والتأثيرات؛ فمثل ما وقع لمريم من هزها لجذع النخل وتساقط الرطب عليها. ومثل ما وقع للذي عنده علم من الكتاب؛ حيث قال لسليمان: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك.

* * *

* قوله: «**والمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها وعن صدر هٰذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر فرق الأمة**».

الكرامات موجودة فيما سبق من الأمم، ومنها قصة أصحاب الغار الذين انطبقت عليهم الصخرة[1]، وموجودة في عهد الرسول ﷺ؛ كقصة أسيد بن حضير[2]، وتكثير الطعام عند بعض الصحابة[3]، وموجودة في التابعين؛ مثل قصة صلة بن أشيم الذي أحيا الله له فرسه[4].

يقول شيخ الإسلام في كتاب «الفرقان»: «وهٰذا باب واسع،

---

(١) قصة أصحاب الغار؛ رواها البخاري (٣٤٦٥)، ومسلم (٢٧٤٣)؛ عن ابن عمر رضي الله عنه.

(٢) قصة أُسيد بن حضير؛ رواها البخاري (٥٠١٨)، ومسلم (٧٩٦)؛ من حديث أبي سعيد الخدري عن أُسيد بن حضير رضي الله عنه.

(٣) رواها البخاري (٦٠٢)، ومسلم (٢٠٥٧)؛ من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما.

(٤) انظر: (٢/٢٩٨).

قد بسط الكلام على كرامات الأولياء في غير هٰذا الموضع، وأما ما نعرفه نحن عياناً ونعرفه في هٰذا الزمان؛ فكثير».

* * *

* قوله: «**وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة**».

* والدليل على أنها موجودة إلى يوم القيامة: سمعي وعقلي:

ـ أما السمعي؛ فإن الرسول ﷺ أخبر في قصة الدجال أنه يدعو رجلاً من الناس من الشباب؛ يأتي، ويقول له: كذبت! إنما أنت المسيح الدجال الذي أخبرنا عنك رسول الله ﷺ، فيأتي الدجال، فيقتله قطعتين، فيجعل واحدة هنا وواحدة هنا رمية الغرض (يعني: بعيد ما بينهما)، ويمشي بينهما، ثم يدعوه، فيقوم يتهلل، ثم يدعوه ليقر له بالعبودية، فيقول الرجل: ما كنت فيك أشد بصيرة مني اليوم! فيريد الدجال أن يقتله؛ فلا يسلط عليه[1].

فهٰذه (أي: عدم تمكن الدجال من قتل ذٰلك الشاب) من الكرامات بلا شك.

ـ وأما العقلي؛ فيقال: ما دام سبب الكرامة هي الولاية؛ فالولاية لا تزال موجودة إلى قيام الساعة.

* * *

(١) رواه: البخاري (٧١٣٢)، ومسلم (٢٩٣٨)؛ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.